

تفسير ابن كثير

وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ^ط وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ^ج وَنَزَّلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ

يقول تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - : (ويوم نبئ في كل

أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) يعني أمته . أي : اذكر ذلك

اليوم وهوله وما منحك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع . وهذه الآية شبيهة

بالآية التي انتهى إليها عبد الله بن مسعود حين قرأ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم

- صدر سورة " النساء " فلما وصل إلى قوله تعالى : (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) [النساء : 41] . فقال له رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - : " حسبك " . قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : فالتفت فإذا عيناه تذرفان

.وقوله : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) قال ابن مسعود : [و] قد بين لنا في هذا

القرآن كل علم ، وكل شيء . وقال مجاهد : كل حلال وحرام .وقول ابن مسعود أعم

وأشمل ؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق ، وعلم ما سيأتي ، وحكم

كل حلال وحرام ، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ، ومعاشهم ومعادهم
(وهدى) أي : للقلوب ، (ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال الأوزاعي : (ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء) أي : بالسنة . ووجه اقتران قوله : (ونزلنا عليك الكتاب) مع
قوله : (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) أن المراد - والله أعلم - : إن الذي فرض عليك
تبليغ الكتاب - الذي أنزله عليك - سائلك عن ذلك يوم القيامة ، (فنسألن الذين أرسل
إليهم ولنسألن المرسلين) [الأعراف : 6] (فوركب لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون
([الحجر : 92 ، 93] (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك
أنت علام الغيوب) [المائدة : 109] وقال تعالى : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك
إلى معاد) [القصص : 85] أي : إن الذي أوجب عليك تبليغ القرآن لرادك إليه ،
ومعيدك يوم القيامة ، وسائلك عن أداء ما فرض عليك . هذا أحد الأقوال ، وهو متجه
حسن .